واخيرا فقد كان للدرب حارس عليه ان ينصح لاهل المدرب ويسهر عليه اذا ناموا ، وينبه النوام اذا اغتيلوا بحريق أو غيره ، ولا يدل على عمارتهم واليا ولا غيره ، ويقابل هذا الحارس فى أطراف المدينة الخارجية الطوفية وهم بين البساتين والمساكن الخارجة عن البلد كالحارس بين الدروب فى وسط البلد . (٧٦)

و ـ المنازل

وليس أدل على اهتمام الاسلام بالبناء والتشييد ودفع الناس اتى ذلك من تقريره أن من أحيى مواتا ملكه ، ويستوى في ذلك احياء الارض للزرع واحياء الموات للسكنى وذلك بالبناء والتسقيف لانه أول كمال العمارة التي يمكن سكناها (٧٧) . ويذكر البغدادى عن أهل مصر انهم قلما يتركون مكانا غفلا خاليا من مصلحة .

ولم تكن المساكن بعيدة عن تفتيش المحتسب واشرافه فقد كان له الحكم على أهل المبانى المتداعية للسقوط بهدمها وازالة ما يتوقع من ضررها على السابلة (٧٨) وكان يتدخل لمنع صرف مياه اسطحها فى ميازيب ، ويلزم أصحابها بحفر المسيلات فى الجدران بدلا من ذلك .

هذا وقد كان للعرب مواصفات مرعية عند تشييد المبانى خاصة باختيار أفضل مواضعها، من ذلك قولهم جميع خصال الدار المتحسنة ان تكون على طريق نافذة وماؤها يخرج فيها وليس عليها مشترف وحدودها لها ، وتكون بين الماء والسوق ويصلح فناؤها لحط الرجال وبل الطين ووقوف الدواب ، وان كان لها بابان فذاك أمثل؛ وينبغى أن يكون أيضا فى طرف البلد لأن الاطراف منازل الاشراف (٧٩) القادرين على تحقيق كل هذه المواصفات المطلوبة . « واحق ما جعلت اليه أبواب المنازل وأفنيتها وكواؤها المشرق واستقبال الصبا فان ذلك أصلح للابدان لسرعة طلوع الشمس وضوئها عليهم . (٨٠)

اما عن ارتفاع المنازل واحجامها ، فقد عرفت مصر تعدد الطوابق فى منازلها ، ويذكر المقدسى انها بلغت خمس طوابق حتى تصير المنازل كالمنائر يدخل اليها الضياء من الوسط . ويضيف ان الدار الواحدة يسكنها مائتا نفس (٨١) ، وقد بلغ من عظم مساحة بعض الدور بالفسطاط ان كان يطلق عليها اسم المدينة ، مثل دار آل مروان فهى الدار المذهبة التى أقامها عبدالعزيز بن مروان سنة ٦٧ هـ ، التى كان يصب لسكانها فى كل يوم ٤٠٠ راوية ماء ، وقد اشتملت على خمسة مساجد (مساجد الصلوات الخمس) وحمامين واكثر من فرن . (٨٢)

---

(٧٦) السبكى : معيد النعم ومبيد النقم ص ١٤٥ / ١٤٦ .

(٧٧) ابن حبيب : الاحكام السلطانية ص ١٦٩ .

(٧٨) ابن خلدون : المقدمة ص ٧٤٦ .

(٧٩) الغزولى : مطالع البدور في منازل السرور ص٨، ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان .

(٨٠) ابن قتيبة : عيون الاخبار المجلد الاول الجزء الثالث ص ٢١٣ .

(٨١) المقدسي : احسن التقاسيم ص ١٩٨ .

(٨٢) ابن حوقل : صورة الارض ص ١٣٠ .

ولعل من أهم ما يميز المنازل العربيةالاسلامية على اختلاف انواعها وجود صحن أو فناء مكشوف ـ قد تكون فيه أشجار أحيانا ـيتوسط كتلة المبنى وتلتف حوله بقية الوحدات المعمارية الرئيسية منها والثانوية ، كى تستمدمنه معظم حاجتها من الضوء والتهوية ، ثم يستمد القليل الباقى من الطرق والشوارع الخارجية .وعلى هذا فان الصحن كان هو الوحدة الهامة أو بالأحرى ، كان هو نواة تصميم مساقط جميعالعمائر على اختلاف أنواعها ، لأنه يؤدى عدة وظائف ، كتلطيف حدة الضوء وكونه بمثابةمرشحللهواء الذى يحمل الغبار ـ وخاصة في مدن النطاق الصحراوى . وكان الصحن باتساعه هذامخزنا للدفء فى الشتاء اذا أغلقت الابواب والفتحات الخارجية فيمنع مرور تيارات الهواء.وعلى العكس من ذلك فى الصيف يساعد على تلطيف شدة القيظ اذا تركت تيارات الهواءتدخلمن خلال فتحات المنزل والفناء ، ويزيد من نفعه لهذا الغرض اذا ما زرعت فيه أشجار وزهور أوتوسطته نافورة او حوض للماء . (٨٣) ولا تقتصر فائدة النافورة أو الحوض على تلطيف وانعاشالجو وتجميل المنظر ، بل كانت كوعاء لحفظ الماء اللازم للحياة المنزلية .

وترجع أهمية الصحن كجزء رئيسى فى كلمنزل الى أنه المكان الذى تقوم فيه ربة البيت بأعمالها المنزلية بعيدا عن أعين الغرباء من الزواراو الجيران أو المارة ، وفوق ذلك فان سكان المنزل يقضون جزءا كبيرا من حياتهم العائلية به،وهو أيضا مرتع للاطفال (٨٤) هذا وقد بقى الفناء من سمات بعض الدور الاسبانية حتى الوقتالحاضر ، ويسمونه هناك Patio ولا يزاليؤدى بعضا من تلك الوظائف التى أشير اليها . (٨٥)

أما عن **المظهر الخارجى للمنازل** فانها كانتبخلاف ما هى عليه من الداخل من أبهة ، فلم يكن يزين تلك الجدران العارية سوى أبوابالمداخل الصغيرة الخالية تماما من الزخرفة والنوافذ القليلة الصغيرة . وقد عرفت الطوابقالعلوية ـ فى المنازل ذات الاهمية ـ «المشربيات» التى انتقلت الى أسبانيا وعرفت باسم الشماسة Ajimez (٨٦) حيث تستطيع النساء من خلالها مشاهدة من بالخارج دون أن يراهن أحد،وقد ظهرتهناك فىالقرن الرابع عشرالميلادى(٨٧)

اما الابواب فكانت صغيرة وجانبية ، ومنالمتبع دائما الا يتواجه بابان على جانبى الطريق للتخلص من نظرات الفضوليين ، كما أن مدخلالمنزل يؤدى الى داخله في ممر متعرج يفضى الى داخله بما لايمكن من بالخارج من رؤية منبالداخلعلى الرغم من فتح الباب الخارجى . (٨٨)

---

(٨٣) فريد شافعى : العمارة العربية في مصرالاسلاميةص ٢٨ / ٢٩ ، ليوبولد نوريس / الابنية الاسلامية ص١٢٧.

(٨٤) فريد شافعى : المرجع السابق ص ٢٩ ،ليوبولد وتوريس : المرجع السابق ص ١٢٧ .

(٨٥) فريد شافعى : مرجع سابق ص ٢٩ .

(٨٦) انظر ليوبولد ونوريس ص ١٢٤ حيث يشيرالى أن هذه الكلمة القشتالية مشتقة من اللفظ العربى الشماسة أى النافذة وكلمة الشماسة بدورها مشتقة منكلمة الشمس وكانت هذه الشماسات تزيد من ضيقالشوارع الصغيرة جدا وتعمل على اظلامه وقد أزيلت أواخر القرنين١٥ ، ١٦ م .

(٨٧) ليوبولد وفرويس : نفس المرجع السابق ص١٢٤ / ١٢٦ .

(٨٨) ليوبولد وفوريس : نفس المرجع السابق ص١٢٧ .

واخيرا فان أشكال المبانى فى المدينةالعربيةوان اتفقت فى قدر مشترك من المواصفات الا انها تتعدد وفقا لاختلاف وظائفها مابين مرافق عامةدينية وأخرى اجتماعية وترفيهية وصحيةوثالثة اقتصادية تجارية ورابعة حربية .

ز ـ تلاؤم المبانى المصرية مع ظروف المناخ« تأثير المناخ على طرز العمارة فى مصر »

لا يشكل فصل الشتاء فى مصر مشكلةكبيرة بالنسبة للسكان حيث لاتقسو فيه ظروف الجو كثيرا ، اما فى فصل الصيف ، وخاصةشهرى يوليو وأغسطس ، فان الحرارة الشديدة تصبح من المشاكل التى تجعل من الضرورىالتكيف معها للتخفيف من آثار ارتفاع درجات الحرارة .

ولما كانت الرياح الشمالية في مصر باردةنسبيا ـ ومنعشة لأنها قادمة عبر البحر المتوسط فان اثرها في الصيف يكون طيبا ، خصوصا وانهاتسود فى الصيف سيادة تامة على الوادى والدلتا وتصبح الحاجة اليها فى الوادى أشد لأن الحرارةتزداد كلما توغلنا جنوبا .

وفى سبيل التغلب على الحرارة الشديدةوالاستفادة ـ فى هذا المجال ـ بالرياح الشمالية (التجارية) ابتكر المصريون عنصر « **الملاقف** » فيالعمارة وذلك منذ عصر الفراعنة كما دلت على ذلك النقوش (٨٩) . وقد استلفت نظر عبداللطيف البغدادى فى مصر أن المصريين « يجعلون منافذ منازلهم تلقاء الشمال والرياح الطيبة ،وقلماتجد منزلا الا وفيه باذاهنج ، وباذاهنجاتهم كبيرة واسعة للريح عليها تسلط . (٩٠)

والباذاهنج : كلمة فارسية معناها المنفذالهوائى (منفذ التهوية) فى أعلى المنزل وهومايعبر عنه العوام بالشخشيخة ، وقد أجاد بعضهم فىتسميته راووق النسيم . (٩١) وفكرة هذه الملاقف أساسها تلقى الهواء الملطف (الرياحالشمالية) واسقاطه من فتحاتها فى أعلى المنزل الى القاعات والايوانات ، وكأنها نوع من طرقتكييف الهواء . (٩٢)

وكانت هذه الملاقف مفتوحة الجانبينالشمالى والغربىلتستقبل الهواءالرطب ،فيندفع خلالها الى أسفل داخل القاعة ليحل محل الهواءالساخن (٩٣) . ولم تكن هذه الملاقف لتحولدون الشمس فى فصل الشتاء الى جانب توفيرهانسيمالصيف . وكانت تصنع من الخشب بما لها من ابواب أو شبكات نحاسية ، وتدهن بالالوان ،ولها اشكال مختلفة . وقد أشار البغدادى الى

---

(٨٩) عباس حلمى كامل : تطورالمسكنالمصرى الاسلامىص ١٠٠ ـ رسالة دكتوراه ـ غير منشورة ـ آداب القاهرة ١٩٦٨ .

(٩٠) عبد اللطيف البغدادى : الافادة والاعتبار ص ٣٨ .

(٩١) الخفاجى : شفاء العليل ص ٤٧ حيث يذكر انكلمة باذهنج معرب بادكير وانها على هيئة اسطوانة لها فتحة فى الجهة الغربية يدخل منها النسيم وسماه راووق النسيم.

(٩٢) فريد شافعى : العمارة العربية فىمصر الاسلاميةـالمجلد الاول ص ٢٨٨ .

(٩٣) عباس حلمى : مرجع سابق ص ١٩٨ .

أنه « قلما تجد منزلا الا وتجد فيه باذاهنج وهى كبيرة واسعة للريح عليها تسلط ويحكمونها غاية الاحكام حتى انه يقوم على عمارة الواحد منهاما بين مائة الى خمسمائة دينار ، وان كانت باذاهنجات المنازل الصغيرة يفرم على الواحـدمنها دينار . (٩٤)

هذا ، وقد ظل استعمال عنصر الملاقف فيالعمارة المصرية الى وقت قريب ، حتى لنـراه شائعا فى مدن الصعيد لشدة الحرارة فيها صيفاوقد صورت لنا الحملة الفرنسية كثيرا من دور مدينة المنيا وقد علتها الملاقف . (٩٥)

وقد كانت هناك صورة أخرى للملاقف ،اذ لم تكن تنتهى مباشرة الى داخل المنزل بل كانت لها مجار داخل الجدران الخلفيـة للايوانات فيابنية المدارس والمسـاجد ، (٩٦) وكانت هـذه المجارى فى الحوائط تنتهى فوق الاسطح بحاجزمائل يساعد على توجيه الهواء الى داخل تلك المجارى . وقد ثبت ان هذه المجارى الواسـعةداخل الجدران لا تؤدى الى أى هدف اسفلها حيث انها بعيدة عن مجارير الصرف « البيارات »بل كانت توصل الى المستويات العليا للدارفقط، واتضح انها كانت لتوصيل الهـواء الطلق لتلكالايوانات « ملاقف » . (٩٧)

ومن التأثير المناخى على تخطيط المنازل انهاكانت غير مصمتة ، أى تتخللها فراغات وافنيـة داخلية ، واحد أو أكثر ، وذلك لسهولة التهويةالداخلية بايجاد متنفس يسمح للهواء الباردبتخلل اجزاء الدار والهواء الساخن بالتصاعد للجو . كماروعى فى التخطيـط تخصيـص أجزاء للجلوس اليومى في مواجهة تيار الهواء القادم من الجهـةالشمالية (البحرية) على قدر الامكان .وتعددت أشكال هذه الاجزاء المخصصة للجلوس ، مـنأروقة وايوانات الى مقاعد (٩٨) أو حتى مجرد دخلات للجلوس ، كما استخدمت أيضا الاشجاروفساقى المياه فى الافنية لنفس الغرض . (٩٩)

ويدخل ضمن سلامة التهوية فى المنـازلالمصرية ماكانت تؤديه الملاقف من فرصة لادخال الهواء الرطب من الطبقات العليا للهواء بعيدا عنأتربة الشارع ، كما كانت تغطى الاضاءة من أعلى مستوى النظر بحيث لايؤذى العين وهج انعكاسالاضواء الشديدة بالخارج . (١٠٠)

---

(٩٤) عبد اللطيف البغدادى : ص ٣٨ .

(٩٥) عباس حلمى : مرجع سابق ص ١١٥ .

(٩٦) من هذا النوع ما هو مشاهد فى جامع الصالحطلائع بين زديق حيث توجد فتحة المجرى المؤدى الى الملقف والتى تفتح خلف المنبر ، وكذلك فى المدرسة الكاملىوخانقاهبيبرس الجاشنكير .. انظر فريد شافعى ص ٢٨٨ ، عباس حلمى : ص ١١٦ .

(٩٧) عباس حلمى : ص ١١٥ .

(٩٨) من هذه المقاعد المفتوحة فى مواجهـة الاتجـاهالشمالى لتلقى الهواء الملطف من الافنيـة المكشـوفة بيت القاضي بقاهرة المعز (بجوار مسجد الحسين) أنظر فريدشافعى : مرجع سابق ص ٢٨٨ .

(٩٩) عباس حلمى كامل : ص ١٠٠ .

(١٠٠) عباس حلمى كامل : ص ١٩٩ .

وهناك أيضا ظاهرة صفر مسطح فتحات الاضاءة وتغطيتها بضلف أو حواجز خشبية ضيقة المسافات لتقليل الوهج والضوء المنعكس من أشعة الشمس البراقة . (١٠١)

وقد اشترك العاملان الدينى والمناخى فى الايحاء بابتكار اسلوب فنى تمتاز به العمارة الاسلامية ، وانتج الفنانون منه تحفا رائعة منه ، وهو أسلوب الخشب المخروط المجمع من قطع خشبية ذات اشكال هندسية مختلفة ، وهو الاسلوب المعروف بالمشربيات ، وكانت تصنع منه الشرفات والأحجبة التى تغطى الفتحات والنوافذ حتى تحفظ حرمة أهل البيت من أنظار الغرباء ، وتسمح فى نفس الوقت بمرور الهواء والضوء (١٠٢)

طريقة بناء المنازل : من العلوم التى خذفها العرب علم الهندسة ، ويدخل تحت هذا العلم عندهم ، علم عقود الأبنية ، وهو علم تتعرف فيه أحوال أوضاع الابنية وكيفية احكامها ، كبناء الحصون المحكمة وتنضيد المنازل البهية والقناطر المشيدة وامثالها ، وشق الانهار وتنقية القنى وانباط المياه ونقلها من الاغوار الى النجود وسد البثوق ، وغير ذلك ، ومنفعته عظيمة فى عمارة المدن والقلاع والمنازل ، وفي الفلاحة . (١٠٣)

وقد خصص البغدادى فصلا لما شاهده بمصر من غرائب الابنية ، بعد أن أشاد بما فى الأبنية المصرية من هندسة بارعة وترتيب للغاية ـ فأعطى صورة لمراحل البناء وطريقته فى مصر بالنسبة للابنية الكبرى فقال : واذا أرادوا بناء ربع أو دار ملكية او قيسارية ، استحضر المهندس (١٠٤) وفوض اليه العمل ، فيعمد الى العرصة (١٠٥) وهي تل تراب أو نحوه ـ فيقسمها فى ذهنه ويرتبها بحسب ما يقترح عليه ، ثم يعمد الى جزء من تلك العرصة فيعمره ويكمله بحيث ينتفع به على انفراده ويسكن ، ثم يعمد الى جزء آخر ولا يزال كذلك حتى تكمل الجملة بكمال الاجزاء من غير خلل ولا استدراك . (١٠٦)

وواضح من قول البغدادى ان المبانى العربية كانت أجنحة مستقلة غير متصلة ببعضها ولذلك اذا نظرنا الى مثل هذه المبانى نرى انها مقسمة الى عدة مساكن كل مسكن كامل بجميع لوازمه (١٠٧) فضلا عما فى مثل هذه الطريقة من الاستفادة الجزئية للمبنى ، أو لعل ذلك لحماية

---

(١٠١) عباس حلمى كامل : ص ١٠١ .

(١٠٢) فريد شافعى : مرجع سابق ص ٢٨٨ / ٢٨٩ ويرى أنه كان يوضع في تلك الشرفات اوانى شرب الماء حتى تبرد من تيار الهواء ، ولعل ذلك هو الذى اعطاها اسم المشربيات .

(١٠٣) حاجى خليفة : مفتاح السعادة جـ ١ ص ٣٧٥ ، التهانوى : كشاف اصلاحات الفنون ص ٦٥ ... وقد وضعت فى هذا العلم كتب منها كتاب لابن الهيثم وآخر لكرجى .

(١٠٤) لقب مهندس يطلق على المقاول الذى يخطط البناء ثم يشرف على عمليات البناء أى أنه صانع ماهر أو مشرف فنى .. انظر فريد شافعى : مرجع سابق ص ٣٠٩ ، ص ٣٨٩ .

(١٠٥) العرصة : المكان الواسع الذى لا بناء فيه .

(١٠٦) البغدادى : الافادة والاعتبار ص ٥٢ .

(١٠٧) مصطفى منير ادهم : موفق الدين عبد اللطيف البغدادى ورحلته الى مصر . محاضرة بالجمعية الجغرافية المصرية سنة ١٩٢٧ .

المبانى من التعرض لهبوط الارض بما يشاهد فىعصرنا من وجود فواصل بين المبانى الكبيرة وانها مقسمة الى أجنحة .

وقد فصل البغدادى بعد ذلك الخطوات المتبعة في بناء المسناة (١٠٨) ويحسن أن ننقل نصه كاملا «واما المسناة فيسمونها الزريبة» (١٠٩) ولهم فى بنائها اتقان حسن ، وصفته ان يحفر الاساس حتى تظهر النداوة ونزيز الماء فحينئذ يوضع ملبن (١١٠) من خشب الجميز أو نحوه على تلك الارض الندية بعد ما تمهد ويكون عرضه نحو ثلثى ذراع وقطر حلقته نحو ذراعين مثل الذى يجعل فى قعر الآبار ، ثم يبنى عليه بالطوب والجير نحو قامتين فيصير بمنزلة التنور فيأتى الغواصون وينزلون هذه البير ويحفرونها ، وكلما نبع الماء نزحوه من الطين والرمل ويحفرون أيضا تحت ذلك الملبن ، فكلما تخلل ما تحته وثقل بما عليه من البناء نزل وكلما نزل غاصوا عليه وحفروا تحته والبناء أثناء ذلك يبنى عليه ويرفعه ولايزال البناء يرفع والغواص تحته يحفر وهو بثقله يغوص حتى يستقر على أرض جلده . (١١١) ويصل الى الحد الذى يعرفونه فحينئذ ينتقلون الى عمل آخر مثله على سمته على بعد أربعة أذرع منه أو نحوها ولا يزالون يفعلون ذلك فى جميع طول الاساس المفروض ثم يبنون الاساس كالعادة بعد ردمهم هذه الآبار فترجع أوتارا رأسية للبناء وعمدا تدعمه وتوثقه . (١١٢)

فاذا كان المقصود بهذا النص وصف المسناه التى تتخذ كسد يحمى من السيل كما كانت تتخذ كبناء يزيد من حصانة المدن حول اسوارها ، وبينها وبين الخندق ، فقد عرفت مصر مثل هذا التشييد منذ عصر الولاة اذ يذكر الكندى (١١٣) فى أحداث سنة ٣٨ هـ وما كان من دخول مصر فى نطاق معاوية بن أبى سفيان خلال الصراع بينه وبين على بن أبى طالب ـ يوم المسناة وانهزام أهل مصر ودخول عمرو بن العاص بأهل الشام الفسطاط في حين عاد أهل مصر الى الحصن وأغلقوه على أنفسهم .

---

(١٠٨) المسناة : صغيرة تبنى للسيل لترد الماء ، سميت مسناة لأن فيها مفاتح للماء بقدر ما تحتاج اليه مما لايغلب مأخوذ من قولك سنيت الشيء والامر اذا فتحت وجهه ، وسنيت الباب وسنوته اذا فتحته (ابن منظور : اللسان ١٩ : ١٣١) اما الصغيرة فقد قيل فيها مثل المسناة المستطيلة فى الارض فيها خشب وحجارة وضفرها عملها من الضفر وهو النسج وقيل أخذت الضفيرة من الضفر وادخال بعض فى بعض معترضا ، والضفر البناء بحجارة بغير كلس ولا طين (ابن منظور : اللسان ٦ : ١٦١ / ١٦٢) .

(١٠٩) الزرية : بئر يحتفرها الصائد يكمن فيها للصيد .

(١١٠) الملبن : قالب اللبن والملبن الذى يضرب به اللبن وهو مطول مربع ولبن الشيء ربعه واللبن واللبنة التى يبنى بها وهو المضروب من الطين مربعا .

(١١١) الجلد : من الارض الغليظ الصلب من غير حجارة (العسكرى : التلخيص) .

(١١٢) البغدادى : ص ٣٩ / ٤٠ .

(١١٣) الكندى : الولاة والقضاء ص ٢٨ / ٣٠ .

أما ما كان يقام حول المدن فقد جاء فى وصف بغداد عند نشأتها زمن المنصور انه كان حول السور فصيل جليل عظيم بين حائط السور وحائط الفصيل بمائة ذراع والفصيل أبرجة عظام وعليه الشرفات المدورة وخارج الفصيل كما يدور مسناة بالاجر والمصاريع متقنة محكمة عالية والخندق بعد المسناة . (١١٤)

وقد يفهم من النص انه انما قصد وصف وضع الاساس للمباني الكبيرة التي كانت ترفع عدة أدوار حتى انه وصف ابنية مصر انها شاهقة فضلا عن ان غالب سكناهم فى الاعالي اذ يتركون الدور الارضي لاغراض أخرى . فان المفهوم من النص ان هذه الآبار المردومة بعد وصولها الى الارض الصلبة تردم لتصبح بذلك قواعد ثابتة أو اوتادا راسية ودعامات قوية يقام عليها الاساس ليرتفع بعد ذلك البناء قويا مدعما لا يختل مع الزمان . (١١٥)

مواد البناء : من الطبيعي ان يعتمد سكان المدن فى تشييد منازلهم على امكانيات البيئة المحلية ، ومن ثم فهناك ارتباط واضح بين مادة البناء والتكوين الجيولوجي ، فقد استخدمت الاحجار الجيرية (الحجر النحيت) فى مناطق توافرها . ففي القاهرة استخدم الحجر الجيري البويضي المتوفر فى المنطقة وقد سماه المقدسي « الحجر البحري » . (١١٧)

وفيما عدا هذا نجد ان البيئة الفيضية قد أتاحت اللبن (١١٨) والآجر (الطوب الاحمر) ، وقد عرفت المدن كلا النوعين على نحو ما شاهد المقدسي في بلبيس من مباني طين وأخرى من الآجر (١١٩) . ويشير البغدادي الى ان الطوب الاحمر على قدر نصف طوب العراق . (١٢٠) وقد عرفت مصر استخدام القصب والنخيل (أفلاق النخل والجريد) مع الطوب والطين وخاصة فى المباني الأولى لمدينة الفسطاط ، وقد نقل ابن سعيد عن مشاهدة أن مباني الفسطاط

---

(١١٤) اليعقوبى : كتاب البلدان ص ٢٣٩ .

(١١٥) مصطفى منير آدهم : موفق الدين عبداللطيف البغدادى ورحلته الى مصر وما شاهده فيها ـ محاضرة القيت بالجمعية الجغرافية المصرية ١٩٢٧ ، حيث يذكر ان هذه الطريقة هى الجارية العمل بها الان ويستعملونها في العمارات الكبيرة ثم يبنون عليها الاساس بعد ردمها ومازالت مثل هذه الآبار تستخدم فى مصر لاغراض الوصول الى الماء الجوفى لصرف ماء الصرف دون حاجة الى رفعه آليا وتسمى الابار الاسكندرانية وعند العامة تعرف بالخنزيرة .

(١١٦) حسن عبد الوهاب : طرز العمارة الاسلامية فى ريف مصر ص ٩ .

(١١٧) المقدسي : أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ص ١٩٧ .

(١١٨) يعتبر الطمى الذى يصنع منه اللبن مناسبا جدا لاحوال المناخ فى مصر حيث انه موصل ردىء للحرارة فهو لا يسخن فى الصيف ولا يبرد في الشتاء ، لذلك وجد المصريون فيه مادة مناسبة جدا لمناخ مصر الصحراوى . وكان استخدامه على طول العصور القديمة والوسطى والحديثة ، اما الحجر فلم يكن يبنى به غير المعابد والهياكل والمقابر ، وما اليها من بيوت العبادة ودور البقاء ، وكان هذا هو السر فى انه لم يبق لنا من آثار السكن القديم فى مصر غير القليل سواء فى العصور القديمة أو الوسطى . انظر سليمان حزين : القرية والاصلاح الريفى في مصر ص ٢٦٢ مجلة الكاتب المصرى مجلد ٤ عدد ٣٤ لسنة ١٩٤٦ .

(١١٩) المقدسي : ص ١٩٥ / ١٩٦ .

(١٢٠) البغدادى : ص ٥٢ .

بالقصبة والطوب الادكن والنخيل طبقة فوقطبقة (١٢١) واما عن القاهرة فمبانيها من قصب وطين . (١٢٢)

ونظرا لافتقار مصر للاخشاب الخاصةبالبناء فقد كانت تستوردها من الشام ، (١٢٣) وينقل السيوطي عن ابن فضل الله العمري انخشب الصنوبر مجلوب الى مصر من بلاد الروم فى البحر (١٢٤) وهذا بالاضافة الى استخداماخشاب الجميز المحلية حيث تعمر به المساكن ويتخذ منه الابواب لما له من بقاء على الدهروصبر على الماء والشمس ، وقلما يتآكل هذا الخشب مع انه خفيف قليل اللدونة ، والى جانبذلك استخدام السنط لما له من صلابة كالحديد واذا قدم أسود كالابنوس . (١٢٥)

وقد كان لانتشار الآثار الفرعونية وغيرهااثره فى قلع احجارها ونقلها الى الابنية والمساكن (١٢٦) واستخدامها فى المشروعات العمرانيةالكبيرة .

كما كانت الربوات والتلال الكفرية هىالاخرى مصدرا لمواد البناء خصوصا بالنسبة للمشروعات الكبيرة التي تتطلب احجارا جيريةمثل استخدام ذلك فى بناء الاسوار والمرافق العامة .

كما كانت تتخذ المساكن القديمة اوالمهجورة هي الاخرى كمصدر لمواد البناء في المباني الجديدة ، وقد اشار ابن خلدون ومنبعده تلميذه المقريزي الى هذه الناحية ، فربطها الاول بالتدهور العام الذي يصيب المدن عندهرمها (١٢٧) ، وجعلها الثاني احدى مراحل التطور العمراني فى ظواهر غرب القاهرة حيثيتم بيع المساكن كانقاض عند خراب العمران مع كل هزة اقتصادية وما يعقبها من وباء يؤديانالى الفناء والخراب . (١٢٨)

اما عن المواد اللاحمة فالجير والرمل فىالاجزاء العلوية من المباني المتخذ فيها الآجر ، اما فى الاجزاء السفلية المعرضة للمياه فيستخدمالجير والحمرة واحيانا الجبس ، ويستخدم ايضا الطين والجير او الطين فقط .

وقد تستخدم الاحجار الجيرية غير المنتظمةفى اجزاء قليلة من الاساسات ولكن الاصل كان استخدام الآجر . (١٢٩)

• • •

---

(١٢١) ابن سعيد المغربى : المغرب ص ٦ .
(١٢٢) ابن سعيد المغربى : النجوم الزاهرة ص ٢٤ .
(١٢٣) فريد شافعى : العمارة العربية ص ٢٩١ .
(١٢٤) السيوطى : حسن المحاضرة جـ ٢ ص ٣٣٣ .
(١٢٥) البغدادى : ص ٥٢ .
(١٢٦) ابن فضل الله العمرى : مسالك الابصار جـ١ ص ٢٣٧ .
(١٢٧) ابن خلدون : المقدمة ص ٩٩٢ / ٩٩٣ .
(١٢٨) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ١٠٨ وما بعدها.
(١٢٩) عباس حلمى : مرجع سابق ص ١٢٤ .

30

مرافق المدينة العربية

اولا ـ الاسواق « الحي التجاري »

اعتمادا على ما صورته كتب الحسبة لاحوال الاسواق فى المدن ، حيث كانت الاسواق تخضع لاشراف المحتسب حتى لقد سميت كتب الحسبة الاولى « احكام السوق » (١٣٠) وبالاضافة الى ما بقي من آثار المنشآت التجارية في العصر الوسيط ، يمكن اعادة تركيب الاسواق أو الاحياء التجارية فى المدن العربية .

وقد عرفت المدن العربية الاسواق المنظمة فى عصورها الاولى ، وكان للحسبة دورها في تنظيم الاسواق ، وحين اتسعت الحياة فى المدن العربية اصبح لاسواقها نظم مرعية سجلتها كتب الحسبة ، من ذلك قول الشيزرى : ينبغي ان تكون الاسواق فى الارتفاع والاتساع على ما وضعته الروم قديما (١٣١) ، حيث كانت الاسواق في مدن الدولة الرومانية مقامة حول الميدان Forum والمعابد والكنائس غالبا ، ثم انشئت الدكاكين على جانبي الشوارع المختلفة ، وجعل لكل صنف من اصحاب التجارة موضع خاص ، وبنيت السقوف (السقائف) فوق تلك المواضع لحماية المارة من الشمس والمطر ، ولذلك سميت تلك الاسواق بالسقائف ، وقد سرى هذا النظام فى معظم المدن الاسلامية . (١٣٢)

هذا وقد تشابهت الاسواق العربية والبيزنطية فى العصر الوسيط واصبحت وظيفة المحتسب العربية تقابل وظيفة والي المدينة Prefect of the City فى الدولة البيزنطية، مما جعل البعض يرى ان مصدر النظامين واحد ومنقول عن المدينة الرومانية ، واعتمادا على نص الشيزرى المشار اليه (١٣٣) ، ولكن هناك من يرى ان مظاهر الحسبة الاولى ومراعاة احكامها فى الاسواق مرعية ومطبقة فى صدر الاسلام الاول قبل الفتوحات الاسلامية ، وان كان هذا لا يمنع من أنه بعد اتساع رقعة الدولة الاسلامية اقتبس العرب اقتباس تمثل لا اقتباس تقليد من نظم الاسواق ما اصبح قائما في الاسواق العربية ، وادى هذا الى التشابه بين الاسواق العربية والبيزنطية (١٣٤) بل فوق هذا هناك تبادل بين الحضارتين فى مثل هذه المظاهر الحضارية اثبتته المقارنة بين نظام الحسبة الاسلامي ووالي المدينة البيزنطية .

---

(١٣٠) يحيى بن عمر (ت ٢٨٩ هـ) أحكام السوق ، تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب الشركة التونسية للتوزيع ١٩٧٥ .

(١٣١) الشيزرى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ص ١١ .

(١٣٢) الشيزرى : نهاية الرتبة في طلب الحسبة هامش ص ١١ تعليق السيد الباز العربى محقق الكتاب .

(١٣٣) انظر هذا الرأى للسيد الباز العرينى فيما نقله عن « والى المدينة » فى الدولة البيزنطية من أنه كان من هيئة كبار الموظفين ويلى فى الرتبة والى الاقليم ، وهو مسئول عن الاشراف على الاسواق وتموين السكان بالقمح ومراقبة النقابات (ورش الصناعات) ... ص ١٣٤ .وما بعدها من كتاب الشيزرى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة

(١٣٤) محمد المبارك : الدولة ونظام الحسبة ص ٧٦.

اما عن تحديد مواضع الاسواق أو الحي التجارى من المدينة العربية فعلى الرغم من شدة الحاجة لوجود الاسواق فى قلب المدينة الا أن ذلك لم يكن بالضرورة عاما فى كل المدن ، ولا عاما بالنسبة لكل التجارات والحرف والصناعات ، فهناك حرف قد خصصت لها اماكن خارج المدن، وسلع لا تعرض الا خارج المدن اما لطبيعة السلعة أو لظروف أصحاب هذه الحرف ، من ذلك تخصيص مكان للذبح (سلخانة) ويمنع المحتسب القصابين من الذبح على أبواب دكاكينهم وعليهم أن يذبحوا فى المذبح (١٣٥) ، وكذلك يمنع جلابى الحطب والتبن واحمال الحلفاء والشوك ونحوهم من دخول السوق ووقوفهم فى العراص (١٣٦) مع تجار الخضراوات والفاكهة حيث كانت دكاكينهم في هذه العراص ، (١٣٧) فاذا لم تتوافر فى المدينة هذه العراص فيجوز دخولهم الى الاسواق لحاجة أهل المدينة اليهم .

وهناك من المدن الكبرى ماكانت أسواقها خارج كتلتها السكنية الرئيسية من ذلك مدينة بغداد ، اذ أخرجت أسواقها خارجها الى حيث أقيمت فى كرخ بغداد ، اذ جعلت الاسواق فيها صفوفا ، واخر سوق القصابين في آخر الاسواق لانهم سفهاء وفى أيديهم الحديد القاطع . وكان لهم مسجدهم الذى يجتمعون فيه يوم الجمعة فلا يدخلون المدينة .

اما السبب فى اخراج الاسواق خارج بغداد فقد قيل ان دخاخينهم ارتفعت واسودت حيطان المدينة وتأذى بها الخليفة المنصور فأمر بنقلهم ، وهناك من يرى ان « المنصور » فعل ذلك خوفا من الجواسيس الذين يترددون على المدينة بحجة التجارة فيكشفون احوال العاصمة (١٣٨) ومعنى هذا ان دواعى الامن كانت من وراء اخراج الاسواق عن المدينة ، أو أن الظروف الصحية أى الخوف من التلوث البيئى ، أو أن الخوف على النواحى الجمالية كان من وراء ذلك .

وقد عرفت عواصم أخرى نظاما فريدا للأسواق فنجد مدينة **المهدية** قد اتخذ الى جوارها ربض « زويلة » وجعله المهدى مسكنا للرعية بناها لهم ، وسكن هو وجنده المهدية ، فكانت الرعية تبيت بزويلة عند أهاليهم ويبكرون الى دكاكينهم ومعايشهم بالمهدية ، وزعم المهدى (جد الفاطميين بمصر) انه فعل بهم هذا ليأمن غائلتهم اذ يحول بينهم وبين أهليهم بالنهار وبينهم وبين أموالهم بالليل . وليس بعيدا عما سبق ماكان قائما فى **قاهرة المعز** التى قامت كحصن منع العامة من سكناها ، ومن ثم كانت الفسطاط عاصمة البلاد التجارية ، وظلت القاهرة كذلك حتى أباحها صلاح الدين الايوبى لسكنى العامة بعد أن ظلت طوال عصر الفاطميين حصنا ملكيا .

---

(١٣٥) ابن الاخوة : معالم القربة فى احكام الحسبة ص ٩٩ .

(١٣٦) العراص : كل جوبة منفتقة ليس فيها بناء فهى عرصه ، وتجمع عراصا وعرصات وعرصة الدار وسطها. وقيل هو ما لا بناء فيه سميت بذلك لاعتراص (للعب) الصبيان فيها والعرصة كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء ، وقيل هى كل موضع واسع لا بناء فيه .

(١٣٧) الشيزرى : ص ١٧ ، ص ١١٦ ، ابن الاخوة : ص ٧٩ .

(١٣٨) ياقوت الحموى : معجم البلدان ومادة كوخ .

سمات الاسواق العربية أو خصائصها :فأولى سمات الاسواق العربية تخصيص سوق لكل صنعة أو حرفة ، فيجعل لأهل كل صنعةسوقا يختص بهم ، ويفرد لكل صناعة مكانخاص بها ، فتعرف صناعتهم فيه فان ذلك لقصادهمأرفق ، ولصنائعهم أنفق . (١٣٩)

وقد كان من أهداف هذا التجمع أنتصبحالفرصة متاحة لجميع المشترين دون أن يختص بالسلعة البعض ، من ذلك **الفراء** فقد نصتكتبالحسبة على أن لا يباع المجلوب منه في الدور ويخص به قوم دون آخرين ، بل تحمل الىسوقهموتباع فيهابالنداء ليناله القوى والضعيف.(١٤٠) ولم يقتصر الامر على السلع المستوردة الترفيهيةبل شمل أساسا الضروريات لشدة الحاجة اليها فكان يمنع تجار الطعام من بيعه فى الدور بليخرجون الى السوق . (١٤١)

ومن سمات الاسواق العربية مراعاةالتجانس بين الحرف المتجاورة ، كما يتمالتفريق بين الحرف التى يخشى منها على بعضها الآخر ،ومعنى هذا انه كان هناك تناسب بين الاسواق ، فالى جانب سوق الاكسية والثياب توجد دكاكينالرفائين ، والى جوارهما سوق الكتانين وكذلك لما بين هذه الاسواق من تشابه وارتباط . اماالحرف التى ليس بينها تجانس ، ويخشى من حصول الضرور على بعضها ، فانها تبعد عنبعضها ، من ذلك من كانت صناعته تحتاج الى وقود نار كالخباز والطباخ والحداد فللمحتسبأن يبعد حوانيتهم عن العطارين والبزازين ، لعدم المجانسة بينهم وحصول الأضرار (١٤٢) ويدخلضمن هذا التخطيط ماكان يفعله المحتسب من اتخاذ مكان لبائعى الحوت (السمك) يكون فيهسوقهم بمعزل عن الطريق . (١٤٣)

وهناك من يرى فى تخطيط الاسواق انماجاء على نسبة اتصالها بالجوامع ، وان الاسواق القريبة هى سوق الشماعين لوجوب الاستضاءةبالشموع فى الصلوات ، وهناك سوق العطارين والطيبيين لوجوب التعطر والتبخر بالجوامع ،وهناك القباقبية لوجوب الوضوء ، وهناك سوق العدول (المأذونين لأن العقود تتم بالجوامع)وهناك سوق الكتبيين لأن الجوامع مدارس ، ثم تتابع الاسواق طبقة طبقة الى ان تكون آخرهاالى جوار السور الداخلى للمدينة ، وهى تلكالتى يجب أن تكون بعيدة عن المنازل خوف الايذاءبالرائحة الكريهه أو الدخان أو الحريق أوالدوى، مثل الدباغين والصباغين والسراجين والحدادينوالنجارين . (١٤٤)

---

(١٣٩) يحيى بن عمر : أحكام السوق ص ٢٢ ،الشيزرى : نهاية الرتبة ص ١١ .

(١٤٠) ابن الاخوة : معالم القربة ص ٢٣١ .

(١٤١) احمد سعيد المجيلدى : التيسير في أحكامالتسعير ، ص ٧٢ .

(١٤٢) يحيى بن عمر : أحكام السوق ص ٣٣ ،الشيزرى : نهاية الرتبة ص ١١ ، ١٢ .

(١٤٣) ابن عبد الرؤوف : ثلاث رسائل أندلسيةفي الحسبة ص ٩٧ .

(١٤٤) عثمان الكعاك : الحضارة العربية فى حوضالبحر المتوسط ص ٦٦ .

ويذكر أن أسواق جزر البحر المتوسط بهذا الشكلوهذا التوزيع تنتشر حول الكنائس وعرص الجوامع . معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ١٩٦٠ .

شوارع الاسواق : لقدكانتالاسواقالعربيةمناطق تسويق خاصة للمشاة بهـا كل ضروب البضائع ، وهىتعتبر ابتكارحضرى عملىومشوقلدرجة ان مخططى المدن المعـاصرين يحـاولون ادخالها فى المنطقة التجارية للمـدينة الغربيـةالحديثة . (١٤٥)

وقـد حظيت شـوارع الاسـواق بعنايةالمحتسب واشرافه على جميع نواحيها سواء فى ذلك مواصـفات تخطيـط الشـوارع وتنظيـماستخدامها بواسطة التجار أو المشترين ، مـن ذلك : أن يكون من جانبى السوق افريزانيمشىعليهما الناس في زمن الشتاء اذا لم يكن السوق مبلطا . (١٤٦)

ويأمر المحتسب أهل الاسواق بكنسـهاوتنظيفها من الاوساخ والطين المتجمع وغير ذلك مما يضر بالناس . (١٤٧) وفى زمن الشتاء اذاكثر طين المطر فجمعه اصحاب الحوانيت فىوسط السوق أكداسا فأضر بالمارة وبالمحمولة فعليهـمكنسه والا فالدولة ملزمة بهذا الواجب ، اذ يجب أن تنقى الاسواق من الطين فى زمن الشتاء (١٤٨)ولا يجوز لاحد من السوقة (التجار) اخـراج مصطبة دكانه عن سمت أركان السقائف الىالممرالاصلى (الطريق) لانه عدوان على المارة ،ويجب على المحتسب ازالته والمنع من فعله ، لما فى ذلكمن لحوق الضرر بالناس . (١٤٩)

ويستفاد مما سبق أن بعـض الاسـواقكانت مظللة بالسقائف لحماية السابلة من المطر والشمس (١٥٠) ، على أن هذه السقائف وانكان مسموحا بها ـ الا انها كانت محظورة أحيانا اذا ما ترتبعلىوجودها الضرر بالنسبةللمشترينذلك انها تسقط ظلا على حوانيت البزازينوغيرهم فلا يتمكن المشترى من رؤية ألوان الاقمشة علىحقيقتها ، وكثيرا ما يجد المشترى بعد الشراء ما اشتراه مخالفا لغرضه فى مكان الضوء . (١٥١)

وينبغى أن يمنع المحتسب احمال الحطبواعـدال التبن وروايا المـاء وشرائح السرجيين والرماد واشباه ذلك ، من الدخول الى الاسواقلما فيه من الضرر بلباس الناس . (١٥٢)

ولما كانت شوارع الاسواق مخصصة للسيردون البيع فقد ورد النهى عن وقوف البائسين بالطرقات لأن الواقف يصبح غاصبا لموضعالمرورحتى ولو كان الطريق واسعا ، لأن ذلك يؤدى الى تضييقها ويجب على المشترين ان يمتنعـواعن الشراء . (١٥٣)

---

(١٤٥) سابا جورج شبر : العلم وتنظيم المـدنالعربية ص ٣٢ الكويت ١٩٦١ .

(١٤٦) الشيزرى : مرجع سابق ص ١١ .

(١٤٧) الشيزرى : نفس المرجع والمكان .

(١٤٨) يحيى بن عمر : أحكام السوق ص ١٢٧ .

(١٤٩) الشيزرى : مرجع سابق ص ١١ .

(١٥٠) الشيزرى : مرجع سابق ص ١٧ .

(١٥١) المجيلدى : مرجع سابق ص ٨٥/٨٦ وقد قاسهذا الحكم على نهى الشارع عن البيع والشـراء فى ليل مظلم أو مقمر بحيث لايقف على حقيقة ما اشتراه والتظليلقريب من ذلك .

(١٥٢) الشيزرى : ص ١٧ .

(١٥٣) ابن الحاج : المدخل جـ ٤ ص

34